



من اصدارات

قسم الدراسات التاريخية

(٢)

الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهن السلام في الفكر الاستشراقي

بقلم

الأستاذ المتمرس

الدكتور حسن عيسى الحكيم

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام في الفكر الاستشراقي
 بقلم: الأستاذ المتمرس الدكتور حسن عيسى الحكيم
 الناشر: مركز الصادق (ع) للدراسات والبحوث الاسلامية التخصصية
 الطبعة: الاولى
 السنة: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



العراق/ النجف الاشرف - شارع المدينة - مقابل جامع الجوهري

الموقع الرسمي: <http://imam-sadiq-c.com>

البريد الالكتروني: center.alsadiq@gmail.com

ادارة المركز: ٠٧٧٠٩٩٤٧٤٦٦

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذي النعم، باري اللوح والقلم، جاعل الشعوب والأمم
من أجل تيسير التعارف بالقيم.
والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم، ومنقذ الناس من
ويلات الحمم، وناشر الرحمة مأمون النقم، سيدنا المصطفى
محمد وعلى آل بيته الأطهار القم.
وبعد...

مركز الامام الصادق (عليه السلام) للدراسات والبحوث الإسلامية
التخصصية، هو احد مشاريع المرجعية الدينية في النجف
الاشرف، والذي يعمل على رقد الوسط الإسلامي، والبعث
العالمي، بالصورة الصحيحة عن الإسلام، الذي كانت ولازالت
رسالته الرحمة للعالمين، انطلاقاً من قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(١).

وتتركز رسالتنا على نشر العلم والمعرفة، وتصحيح الرؤى
والمفاهيم الدينية بالاستقاء من منابعها الرئيسة: القرآن الكريم
والسنة الشريفة، نستفيد في ذلك من عمق التجربة الدينية في
حوزة النجف الاشرف التي كانت ومازالت تمثل النمرقة
الوسطى بين التيارات الدينية التي انتشرت في ارجاء المعمورة،
ونتكأ على من تغذيمهم هذه الحوزة من طلبة العلوم الدينية
والأساتذة الأكاديميين الذين طالما نهلوا من نعيم هذه الحوزة
المباركة، ومنفتحين على الجميع في سبيل تحقيق الهدف
المشترك الذي دعا اليه جميع الأنبياء والرسل.

ملتزمون في عملنا بالقيم الأخلاقية، والمبادي الإنسانية،
والمثل العليا التي أرادها الله تعالى لعباده، وضمن لهم الكرامة

والعزة حال صونها والأخذ بها: كالرحمة والعدالة والمحبة والاحترام المتبادل والحوار الحضاري والتعايش بسلام طبقاً لقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (الناس صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) وهدفنا في كل ذلك

- ١- كشف الوجه الناصع للإسلام الذي يحاول أعداء الإنسانية اليوم طمسه وإظهاره بمظهر لا يمت له بصلة.
 - ٢- التواصل العلمي والمعرفي، والتلاقح الفكري الحضاري، والحوار البناء، مع مختلف الشعوب والثقافات.
 - ٣- تشجيع الباحثين والمفكرين، وتقديم يد العون إليهم من خلال رفدهم بما يسهل مهامهم البحثية، أو طبع نتائجهم الفكرية.
 - ٤- البحث عن التراث المعرفي المخطوط ومحاولة حفظه، وإعادة طبعه وتقديمه للأجيال.
 - ٥- رفع المستوى الثقافي للمجتمع من خلال الدورات والندوات والنشرات والمجلات وغيرها من أدوات نشر الثقافة.
 - ٦- تقديم كل ما فيه نفع للأمة من خلال الآليات التي يلتزمها المركز ويعمل على تطويرها .
- وبعد اتضح الطريق تسارعت الخطى من أجل منهجة العمل وتوجيهه نحو التخصصات العلمية التي لها الدور الفعال في تحقيق هذه الأهداف، فاتكأ المركز على مجموعة من الأقسام وهي:

- قسم الدراسات القرآنية.
 - قسم الدراسات العقدية والفكرية.
 - قسم الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام).
 - قسم الفقه الإسلامي.
 - قسم الحديث والدراسات في نهج البلاغة.
 - قسم الفقه الاجتماعي.
 - قسم الدراسات التاريخية.
- وابواب المركز وامكانياته مشرعة امام كل الباحثين،

والمركز منفتح على كل الجهات التي من همها التواصل العلمي
والمعرفي لخدمة الإنسانية وبلورة المنحى الإنساني والعلمي
للأديان.

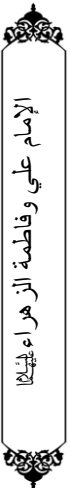
واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله الطاهرين.

مركز الامام الصادق (عليه السلام)
للدراسات والبحوث الإسلامية
التخصصية
النجف الاشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا]

الأحزاب: ٣٣



المقدمة

تصدى فريق من المستشرقين والكتاب الغربيين للموروث الإسلامي في دراساتهم للقرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية وآل البيت عليهم السلام، والتاريخ الإسلامي، وغيرها من الدراسات الفكرية والعقائدية، وكانت للإمام علي، والصدّيقة فاطمة الزهراء عليهما السلام مساحة من دراساتهم، ووقع جزء منها في السيرة النبوية الشريفة، وعند وقوفي على دراسات المستشرقين وجدت فيها الباحث المنصف المحايد، والمتعصب المنحاز، وقد آليت على نفسي أن أكون محايداً، بعيداً عن الانتماء الديني والمذهبي في كتابي هذا (الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام في الفكر الاستشراقي)، وذلك للكشف عن الحقيقة، والاحتفاظ بالأمانة العلمية، ولم يكن انحراف بعض المستشرقين عن الحقيقة التاريخية سبباً للنيل منهم، فقد تعاملت مع الجميع معاملة الناقد المتفحص، في محاولة للوصول إلى الواقع التاريخي، فالإمام علي والصدّيقة فاطمة الزهراء عليهما السلام لا يمكن أن تستوعبهما بحوث ودراسات على الرغم من كثرتها أكانت إمامية أو إسلامية أو أجنبية، وقد حصرت دراستي

للإمام علي عليه السلام في كتابات المستشرقين في المحاور الآتية:

- ١- المحور العقائدي والإيماني.
- ٢- المحور العلمي والفكري.
- ٣- المحور السياسي والعسكري.
- ٤- المحور الإداري والاقتصادي.

ولابد لي من القول: أنا أصغر من أن أتحدث عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقلّ تعبيراً ممّن سبقني في الدراسة والبحث، فالسيرة العلوية لا يمكن إدراكها واستيعابها من مؤرخ قد أحاط بالأحداث بفكره، أو أديب تناولها بفنه، أو فيلسوف بمعارفه، وقد عجز هؤلاء عن إدراك خصائص النبوة والإمامة، والإحاطة بشمائلهما، ففيها العلوم والمعارف والآداب، والتفرد بالإنسانية وأساليب الحكم، فكلام النبي والإمام دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، وأن مثالية حكمهما فوق أنظمة الحاكمين وكنّت قد كشفت عن هذه الخصائص في كتابي (السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية)، ويأتي كتابي (الإمام علي وفاطمة الزهراء في الفكر الاستشراقي) متواصلاً مع كتابي السابق، فماذا أقول يا أمير المؤمنين، وأنا أكتب سطوراً متواضعة توزعت على محاور

البحث الأربعة، وهذا ما جعلني أكثر عجزاً من أن أغوص في أعماق بحرك المتلاطم الذي لا ساحل له، وما أقوله إلا (ومضات حيدرية) خطفت أبصار المستشرقين، فمعدرة سيدي يا أمير المؤمنين لعجزي عن الإحاطة بتفاصيل سيرتك، ويبقى عجزي يسايرني، وإن واصلت الكتابة ببحوث ودراسات عنك، وهي تلتقي مع عجز الباحثين والدارسين. ووددت أن أضع دراسات المستشرقين عن المرقد الحيدري الشريف في الفصل الثاني من كتابي، لوجود الصلة الوثيقة مع السيرة العلوية، ووفق المحاور الآتية:

١- المحور الجغرافي لتحديد المرقد الحيدري.

٢- المحور الوصفي للعمارة.

٣- المحور العقائدي للزيارة.

٤- المحور الآثاري للخزانة الحيدرية.

وخصص الفصل الثالث من الكتاب لدراسات المستشرقين للصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد وقفت على تخصصات بعض المستشرقين عند دراساتهم لفاطمة الزهراء عليها السلام، وذلك من خلال المحاور الآتية:

١- المحور الجامع بين النبوة والامامة.

٢- المحور العقائدي.

٣- المحور الجغرافي لتحديد مرقد الزهراء.

٤- المحور الاجتماعي لورثة الزهراء.

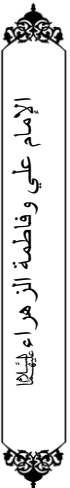
ومن خلال الفصول الثلاثة وما تفرع عنها من محاور قد وقف عندها المستشرقون في البحث والدراسة، وتبقى عرضةً لطالبي الحقيقة من الباحثين، والأمل وطيد لقارئ هذه السطور تبيان ما لديهم من آراء وملاحظات، متمنياً للجميع الموفقية في إبراز الحقيقة التاريخية، ونسأله تعالى الموفقية [وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ].

النجف الأشرف الأستاذ المتمرس الدكتور

حسن عيسى الحكيم

٢٠١٩هـ/١٤٤٠م

الفصل الأول
الإمام علي عليه السلام
في الفكر الاستشراقي



الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



توزعت دراستي لآراء المستشرقين للإمام علي عليه السلام على محاور أربعة أساسية، مستنبطة من كتب المستشرقية المتداولة، وعلى النحو الآتي:

أولاً - المحور العقائدي والإيماني

أجمعت المصادر الإسلامية على إيمان الإمام علي عليه السلام بالرسالة الإسلامية السماوية منذ نزول الوحي على النبي الكريم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وانفرد عليه السلام بنصرة الإسلام من بين عشيرته، ولكن المستشرق الأمريكي (ارفنج) خالف هذه الحقيقة التاريخية، وعدّ الصحابي زيد بن حارثة أول من اعتنق الإسلام^(١). وهذا الرأي يتناقض مع النصوص التاريخية الموثوقة فورد عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قوله: (أول من صلّى علي بن أبي طالب)، وعن الحكم بن عيينة قوله: (خديجة أول من صدّق، وعلي أول مَنْ صلّى إلى القبلة)^(٢). وقد أجمعت المصادر التاريخية، وكتب السيرة والرجال على هذه الحقيقة، وجاء في النشيد الشعري للشاعر (جوته) الذي نشر في مدينة (جوتنجن Gottingen) عام ١٧٧٣م صورة رائعة عن إيمان الإمام علي عليه السلام بالرسالة الإسلامية، وإيمان الصديقة فاطمة

(١) ارفنج: حياة محمد، ص ٦٢.

(٢) المحب الطبري: ذخائر العقبى، ص ٦٨ - ص ٦٩.

الزهراء عليها السلام، وقد كشف هذا التشيد عن فيض الإسلام، وسرعة ذبوعه، حتى انتظم النجاد والوهاد، وبلغ إلى المحيط الأعظم^(١). وأن ما تميز به الإمام علي عليه السلام هي رابطة المتينة بالقرآن الكريم، وهذه الرابطة لم تتحقق بالصحابة الآخرين، وأكدها الحديث النبوي الشريف: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)^(٢). ويقول عامر الشعبي: (ما أحدٌ أعلم بما بين اللوحين من كتاب الله، بعد نبي الله من علي بن أبي طالب)^(٣). وقد وصف عليه السلام بربيب الوحي، لأنه حمل الإسلام بين جنبيه فكراً وسلوكاً وتطبيقاً، وأكد القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]^(٤). وقد نزلت هذه الآية الكريمة عند تجمع المسلمين في دار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد خاطبهم عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله: (فأيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا) فصمت الجميع، ولم يدخل في أذهانهم هذا الحديث، سوى الإمام علي عليه السلام،

(١) الحكيم: الدراسات الاستشراقية، ص ٢٢٦ - ص ٢٢٧.

(٢) ابن حجر: الصواعق المحرقة، ص ١٢٤.

(٣) الحسكاني: شواهد التنزيل، ٣٦١/١.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

فما كان من النبي الكريم (ﷺ)، إلا أن يأخذ بيد الإمام علي عليه السلام ويخاطب الحاضرين بقوله: (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فاسمعوا له واطيعوا)، وفي نص آخر: (أنت أخي ووزير ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي)^(١). وبقي لفظ (الوصية) يلاحق الإمام علي عليه السلام، وقد ارتبط بمصطلح (الإمامة) ومحتواه الفكري والعقائدي، وصلته بالخلافة بمحتواها السياسي، وأكد حديث (المنزلة) على الجانب العقائدي بقوله (ﷺ): (أما تُرضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي)^(٢). وقد عبّ المستشرق (بودلي) على حديث الدار بقوله: (فهبّ علي وقال وهو ينظر في تحدّ إلى رؤساء القوم: أنا يا رسول الله عونك، أنا حربٌ على مَنْ حاربت، فلفّ محمد ذراعه حول ابن عمه وقال: فأنت أخي ووزير ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي)^(٣). وقد أشار المستشرق (بودلي) إلى الفداء والتضحية والتحدي، في ظرف عصيب لاستبدال الجاهلية بالإسلام، وإلى الدور العقائدي الذي تبناه الإمام علي عليه السلام منذ اللحظة الأولى من نزول الوحي، وإلى تغلغل لفظ (الإيمان)

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٠/٢ - ٣٢١.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٦٣/٣.

(٣) بودلي: الرسول حياة محمد، ص ٨٦.

في أعماقه، وقد خصَّ به من بين الصحابة الذين لحق بهم لفظ (المسلم)، وقد تكون جذور الجاهلية تلاحق هذا اللفظ عند بعض الصحابة، فالإمام علي عليه السلام، لم يعتنق الفكر الجاهلي في حياته، فأمن بالإسلام إيماناً عقائدياً راسخاً، وهذه الحقيقة قد ابتعد عنها كثير من الباحثين من مسلمين ومستشرقين ومما يؤكد فكرة الإيمان هو مرور أبي طالب ومعه ولده جعفر فرأيا الإمام علياً عليه السلام يصلي خلف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال أبو طالب لولده جعفر: (صل جناح ابن عمك وصل عن يساره) وأن هذا النص يكشف عن إيمان أبي طالب (رحمه الله) بالإسلام، وعن خطئه التوفيقي بين قريش والجاهلية من جانب، وبين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والإسلام من جانب آخر، وهذا النص يسقط رأي المستشرق (ارفنج): أن الصحابي زيد بن حارثة أول من اعتنق الإسلام^(١). ووقع في هذا الخطأ المستشرق البريطاني (مونتغمري وات) في كتابه (محمد في مكة)، في حين أن الأستاذ (جوليوس) في كتابه (أمثال الإمام علي)، أكد على أن المسلم الأول هو الإمام علي عليه السلام، ومن المحتمل أن الفكر الجامعي دفع الأستاذ

(جوليوس) من الوصول إلى الحقيقة التاريخية، فإنه كان يشغل كرسي الاستاذية بجامعة (اكوسفورد).

ثانياً - المحور العلمي والفكري.

تناول بعض المستشرقين الإمام علياً عليه السلام من الجانبين العلمي والفكري، وقد استمدوا نصوصهم من الأحاديث النبوية الشريفة، والمصادر التاريخية الموثقة، ولم نجد شكوكاً في قول أو خطبة لدى المستشرقين، وقد حاول المستشرق (أرندتك) إعطاء صفة العمق التاريخي للألفاظ الدالة على فكر الإمام علي عليه السلام وعلميته، مستعيناً بالأحاديث النبوية الشريفة^(١). ويقول الأستاذ حنا فاخوري: أننا نجد في كلام الإمام علي ثروة معنوية تفرد له مكاناً خاصاً في أدب ذلك العهد، وثروة معنوية تجعل من كلامه متعة أدبية وجمالاً فنياً^(٢). ووقف المستشرق (دي بور) على كلمة الإمام علي عليه السلام: (الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك)، وقد استقى منها معانٍ في الحكمة والفلسفة والأخلاق والاجتماع والسياسة^(٣). وإلى هذا المفهوم العلمي، ذهب الأستاذ ميخائيل نعيمة إلى القول: (إنَّ علياً لمن عمالقة

(١) الحكيم: الدراسات الاستشراقية، ص ١٠٦.

(٢) حنا فاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٢٤.

(٣) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٤٢.

الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان^(١). وأن الباحث المتفحص لكلام الإمام علي عليه السلام في كتاب (نهج البلاغة) يقف على هذه الحقيقة، وهذا مما جعل فرقة المعتزلة أن تضع الإمام علياً عليه السلام في المقام الأعلى من الفكر، لأن حكمه وافرة المعنى، جميلة المبنى، يأخذها عقله لا لون لها، ولا رسم فتمر في مخيلته فإذا هي صورة جميلة تترجج فيها الحياة، فهو حكيم قبل كل شيء وحكيم في جميع مواعظه وخطبه^(٢). وقد استمد الأستاذ (البنداق) في كتابه (المستشرقون وترجمة القرآن الكريم) من أقوال الإمام علي عليه السلام وصفاً دقيقاً، كقوله: (القرآن ظاهرة أتيق، وباطنه عميق، لا تغنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه)^(٣)، وقوله عليه السلام: (كتاب الله بين أظهركم، ناطقاً لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا يهدم أعوانه، به تبصرون وبه تنطقون، وبه تسمعون، ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، لا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله، فعليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والرأي الصائب، والعصمة للتمسك، والتجاء للمتعلق، لا يعوج

(١) جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ٢٥٥.

(٢) الفكيكي: الراعي والرعية، ص ٣٣.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان، ٩/١.

فيقوم، ولا يزيغ فيستعيب، ولا تخلقه كثرة السرد وولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق، واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي يغشى، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب^(١) وتطرق كثير من المؤرخين والباحثين المسيحيين المعاصرين لعلمية الإمام علي عليه السلام، ومنهم:

- ١- الأستاذ فيليب حتي في كتابه (تاريخ العرب).
- ٢- الأستاذ حنا فاخوري في كتابه (تاريخ الأدب العربي).
- ٣- الأستاذ جورج جرداق في كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية).

ويقول الأستاذ فيليب حتي: (ولقد اتفق المسلمون على اعتبار علي نبراس الحكمة والشجاعة فوضعتهم فرقاً من الفتيان وأهل التصوف موضع الجمال النفسي، وتخليته مثلاً عالياً)^(٢). وأشار المستشرق (ادوار بوكوك) إلى الأمثال العربية المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام، معتمداً فيها على نسخة حققها الباحث الهولندي (غليوس) ١٥٩٦ - ١٦٦٧م، وكان هذا المستشرق أستاذاً للغة

(١) البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١٩.

(٢) فيليب حتي: تاريخ العرب، ٢٤٣/١.

العربية في جامعة (ليدن)^(١). وكان بعض المستشرقين من استمدت من كلام الإمام علي عليه السلام جوانب فلسفية وكلامية، واستمد آخرون جوانب بلاغية ولغوية.

ثالثاً - المحور السياسي والعسكري.

لازمت الشجاعة والفروسية والميادين العسكرية حياة الإمام علي عليه السلام منذ إيمانه المنفرد بالرسالة الإسلامية، ونبذ الوثنية والشرك، وقد وصفه المستشرق (جوته) بالقائد الشجاع الأمين، وأطلق آخرون لفظ (بطل الأبطال)، وأن الباحث المتعمق في السيرة الحيدرية يجد فيها سمات البطولة والشجاعة، وبه نزلت الآية الكريمة: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ]^(٢)، في ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة ومبيته في فراش النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد تطرق بعض المستشرقين إلى المواقف البطولية المنفردة للإمام علي عليه السلام، ومنهم:

١- المستشرق الأمريكي (ارفنج) في كتابه (حياة محمد).

(١) سهيل قاشا: كتاب الاستشراق، ١٨/٢ - ٢٤، عبد الجبار ناجي: تطور الاستشراق

في دراسة التراث العربي، ص ٣١.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

٢- المستشرق الفرنسي (جان بروا) في كتابه (محمد نابليون السماء).

٣- المستشرق البريطاني (كارليل) في كتابه (الابطال).
وما كتبه المستشرق (بودلي) عن السيرة النبوية، ولكن هذا الإجماع الذي اتفق عليه المسلمون والمستشرقون قد ابتعد عنه المستشرق الروماني (كونستانس جيورجيو) بقوله: أن الآية الكريمة: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ] نزلت في الصحابي صهيب الرومي، ولم يشر للحادثة التي نزلت بها الآية الكريمة^(١). في حين أن المستشرق (ارفنج) يقول: (إلتف ابن عمه المخلص علي في بردته، وأخذ مكانه في فراشه). ويقول المستشرق (جان بروا): (ترك علي فراشه نهباً لسيوف المؤامرة البطل المضحي، والمؤمن الشاب ابن عمه وربيته علي بن أبي طالب)، وألحق بعض المستشرقين ألفاظاً ذات معاني البطولة والفروسية، وقد انفرد بها الإمام علي عليه السلام ومنها:

١- البطل.

٢- أسد الله.

٣- سيف الله.

٤- صاحب اللواء.

٥- حامل السيف.

٦- قاهر اليهود.

وقد استخلص هؤلاء المستشرقون هذه الألفاظ من خلال المعارك الفاصلة التي خاضها النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأشار المستشرق (البارون كارديفوا) إلى موقعة بدر الكبرى، في السنة الثانية للهجرة بقوله: (وحارب علي بطلاً إلى جانب النبي، وقام بمآثر ومعجزات)، وبعد وصفه لمعركة بدر يقول: (كان علي في العشرين من عمره يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه)^(١). وإلى هذه الحقيقة يشير المؤرخ ابن قتيبة بقوله: (لم يصارع أحداً قط إلا صرعه، شديد الوثب، قوي الضرب)^(٢)، ويقول المفسر الطبرسي: وكانت ضرباته ابكاراً، كان إذا اعتلى قدّاً، وإذا اعترض قطاً^(٣)، وأشار المستشرق (البارون كاراديفو) إلى سيف ذي الفقار بقوله: (وفي أحد تسليح بسيف النبي ذي الفقار، فكان يشق المغافر بضربات سيفه ويخرق

(١) الحكيم: دراسات استشراقية، ص ٩٨ - ص ٩٩.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢١٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان، ١/٢٩٣.

الدروع^(١). وتناول المستشرقون صلوات المسلمين باليهود واعطوا لموقعة خبير مساحةً واسعةً، ودوراً للإمام علي عليه السلام في المعارك، فيقول (كاراديفو): أن علياً عليه السلام قلقل بيده باباً فخماً من حديد، ثم رفعه فوق رأسه متخذاً منه ترساً مجناً^(٢). ووصف المستشرق (جان بروا) موقعة خبير بدقة فيقول: (اقرب البطل علي، وملء ثوبه العزيمة، ومعجزة النبوة، وبشرى الفتح، واقترب بهديره وزئيره وجنود من خلفه والراية ترفرف في يده، راية النصر المؤكد والفتح المبين)^(٣). وقد التقى هذا الوصف للمعركة مع الحديث النبوي الشريف: (ضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين) ولذا أطلق المؤرخون لقب (قاهر اليهود) على الإمام علي عليه السلام ووصف المستشرق (ارفينج) مقتل القائد اليهودي (مرحب) بسيف الإمام علي عليه السلام بقوله: (وجه علي ضربة قوية بسيفه ذي الفقار إلى درع مرحب فشقه نصفين، ثم شقت الضربة العمامة، ثم رأسه حتى أضراسه، وسقطت جثته الضخمة على الأرض)^(٤). وأننا نضع دراسات

(١) جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ٣٧٤.

(٢) الحكيم: الدراسات الاستشراقية، ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ارفنج: حياة محمد، ص ٢٠١.

المستشرقين المنصفين المحايدين موضع الاحترام والتقدير، عند وصفهم للمعارك مع اليهود والمشركين، وهم:

١- واشتجنون ارفنج.

٢- جان بروا.

٣- بودلي.

٤- البارون كاراديفو.

٥- كونستانس جيورجيو.

وكانت بعض الدراسات الاستشراقية قد اتصفت بالاعتصاب، دون الكشف عن الأبعاد العقائدية والميدانية، وكان سيف الإمام علي عليه السلام (ذو الفقار) موضع حديث بعض المستشرقين، لأنه يلتقي مع شجاعة الإمام علي وفروسته، وقد أطلق المستشرق (ارفنج) لفظ (السيف العجيب)^(١)، وتطرق المستشرق (البارون كاراديفو) للمعارك العسكرية كلاً على انفراد بدءاً من معركة بدر الكبرى، وكشف المستشرق البريطاني (كارليل) عن مواقف

الإمام علي عليه السلام الحاسمة^(١). وكانت شجاعته ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان^(٢).

وتحدث بعض المستشرقين عن الوضع السياسي بعد مقتل عثمان ابن عفان، ومبايعة الإمام علي عليه السلام بالخلافة، ووصف (فلهاوزن) الوضع السياسي بقوله: (صار السيف القول الفصل)، وكان لفظ (قميص عثمان) و (قلادة عائشة) يترددان في كتابات بعض المستشرقين، وقد أفاض بعضهم في دراسة الأوضاع السياسية ومنهم:

١- فلهاوزن.

٢- بودلي.

٣- اوليري.

٤- دوزي.

ولا شك أن آراء هؤلاء المستشرقين وغيرهم بحاجة إلى وقفة تحليلية نقدية.

(١) كارليل: الابطال، ص ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، الحكيم: فروسية الإمام علي في كتابات المستشرقين. جريدة

الزمان، العدد (٢٣٠٣) بتاريخ ١/٨/٢٠٠٦.

رابعاً - المحور الإداري والاقتصادي.

وضع الإمام علي عليه السلام أسساً متينة للنظام الإداري والاقتصادي في الإسلام بين (٣٥ - ٤٠هـ)، وأن عهده لواليه علي مصر مالك الاشر مثال رائع للراعي والرعية، وقد أرسله لجميع عماله في الامصار فهو أشبه بالأوامر العامة^(١). وقد ارتكز النظام العلوي على أربعة أسس هي:

- ١- جباية الخراج.
- ٢- مجاهدة العدو.
- ٣- إصلاح المجتمع.
- ٤- عمارة البلاد.

وإذا تعمقنا في دراسة هذه الأسس وفق الرؤية الحديثة للنظم الإدارية والاقتصادية لوجدناها صالحةً لأية حكومة وفي كل زمان ومكان، وقدّم عليه السلام لعماله وولاته نصائح وارشادات وفي مقدمتها رعاية المجتمع وفق إدارة ميدانية، وكان عليه السلام قد خاطب وولاته بقوله: (فاني اشار ككم على الجنة، ولست اشار ككم على ذهب ولا فضة)^(٢). وكان عليه السلام يجوب الأسواق، ويراقب الأسعار، ويشرف على المكاييل، ويحث التجار

(١) عبد الرزاق نوفل: محمد رسولاً ونبياً، ص ١٣٩.

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٢٣.

على ألا يظلموا الناس^(١). وأشار المستشرق (يعقوب ليسنر) إلى الإدارة في عهد الإمام علي عليه السلام في مدينة الكوفة، عند حديثه عن مدينة بغداد وخطتها^(٢). ولكن السياسة الإدارية والاقتصادية للإمام علي عليه السلام لم يهضمها جميع الولاة والعمال لأنهم اعتادوا على جمع الأموال، وعدم مراقبة الرعية ميدانياً، مما أحدث فجوةً بين بعض العمال وأمير المؤمنين عليه السلام، لأن السياسة الإنسانية لم يعتادوا عليها من قبل، وقد تطرق المستشرق (ارفينج) إلى الجانب السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي في عهد الإمام علي عليه السلام فيقول: (أراد الرسول أن يوصي المسلمين بأسرته، وخاصة علي بن أبي طالب، الذي كان يحبه، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)^(٣). ولكن عدم تطبيق المسلمين لأهداف بيعة الغدير، أدى إلى تصاعد الصراعات بين الصفوف، فيقول المستشرق (سيدليو): (لو كان قد تم الاعتراف بمبدأ الوراثة، وهو في صالح علي منذ البداية لكان بوسع ذلك المبدأ أن يمنع المنازعات النكباء التي اغرقت الإسلام

(١) وكيع: أخبار القضاة، ١٩٦/٢.

(٢) يعقوب ليسنر: خطط بغداد، ص ٢٢٣.

(٣) ارفنج: حياة محمد، ص ٢٧٤.

في الدم، وكان زوج فاطمة يضم فضلاً عن شخصه حق الوراثة كوارث شرعي للرسول، كما يضم الحق بالانتخاب، وربما كان يظن أن جميع المسلمين سيقدمون انفسهم لخدمته ما دام طاهراً نبياً، ولكن هذا لم يقع^(١). وأدّى إلى التسابق للوصول إلى الحكم ووصول آل أمية إلى السلطة، وقد تحدث المستشرق (اوليري) إلى تمرد معاوية بن أبي سفيان على الخلافة الشرعية بقوله: (أن الانقسام الداخلي ظهر عند ارتقاء علي سدة الخلافة حقيقة واقعة فالمسلمون الدنيويون انتصروا لمعاوية الذي كان والياً على الشام، ورفضوا مبايعة علي)^(٢)، وأشار المستشرق (اوليري) إلى شتم الأمويين للإمام علي عليه السلام على المنابر حتى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) بقوله: (وولي عمر الثاني الخلافة عام ٩٩ من الهجرة فكان الأموي الوحيد الذي أبدى عطفاً على العلويين، وألغى لعنة علي على المنابر، وكانت جزءاً من الطقوس العلنية في مسجد دمشق منذ أيام معاوية، وكان يمثل نوعاً من النزاهة الشخصية التي لم تعهد في خليفة أموي من قبله)^(٣)، ولا شك أن عقيدة الإمام علي عليه السلام الراسخة في

(١) سيد أمير علي: روح الإسلام، ص ٢٩٢.

(٢) اوليري: الفكر العربي، ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣.

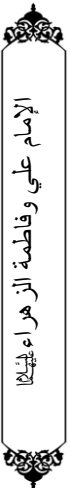
الإسلام لم تسمح له مصافحة الدنيويين الذين لم يعتنقوا الإسلام عن إيمان وعقيدة، وقد أراد عليه السلام تطبيق الشريعة الإسلامية، وفق أبعادها الاجتماعية والاقتصادية التي وضع أصولها رسول الإنسانية محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

خامساً - المحور الاجتماعي.

تحدث المستشرقون عن السياسة الاجتماعية التي سلكها الإمام علي عليه السلام، وسيرته القائمة على الزهد والقناعة وحتى في زواجه من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وبساطة مهرها، وأن كتابات بعض المستشرقين أشارت إلى هذا الجانب ومنهم:

- ١- المستشرق (جان بروا) في كتابه (محمد نابليون السماء).
- ٢- المستشرق (ارفنج) في كتابه (حياة محمد).
- ٣- المستشرق (دونلدسن) في كتابه (عقيدة الشيعة).

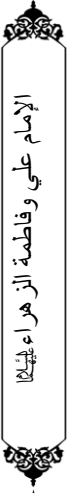
ولكن بعض المستشرقين قد وقع في وهم عند حديثهم عن زوجات الإمام علي عليه السلام بما يتقاطع مع النصوص التاريخية، فالإمام عليه السلام لم يتزوج بامرأة أخرى ما دامت السيدة فاطمة الزهراء على قيد الحياة، وقد سار على منهج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإنه بقي مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) دون الزواج بامرأة أخرى حتى وفاتها.



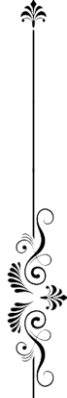
الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



الفصل الثاني
المرقد الحيدري الشريف
في الفكر الاستشراقي



الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



ربطت كثير من الدراسات الإسلامية والاستشراقية بين السيرة العلوية الشريفة، والمرقد الحيدري الشريف، وهذا الذي جعلني أن أضع المرقد الحيدري في الفصل الثاني من الدراسات الاستشراقية وفق محاور أربعة، وعلى النحو الآتي:

أولاً - المحور الجغرافي لتحديد المرقد الحيدري.

أشارت المصادر التاريخية إلى أرض (الغري) ومدينة النجف الأشرف التي رقد فيها الإمام علي عليه السلام، بعد استشهاده على يد الاثيمة لعبد الرحمن بن ملجم المرادي عام ٤٠هـ و كنت قد خصصت دراستين لهذا الموضوع هما:

١- الإمام علي عليه السلام روح الإسلام خالد.

٢- المفصل في تاريخ النجف الأشرف، الجزء الثاني.

وسوف اقتصر في هذا الفصل من الكتاب على آراء المستشرقين في بناء المرقد الحيدري الشريف، وتطوراته العمرانية، ووقع بعض المستشرقين في أوهام وأخطاء، يقول المستشرق (ماليبارد): إنَّ الإمام علياً عليه السلام قتل بالكوفة، ودفن فيها، وهو الرجل الذي قلما ذاق طعم الراحة في حياته^(١). وجاءت بعض الدراسات الاستشراقية، قلقة

(١) ماليبارد: نواعير الفرات، ص ٥٠.

في تحديد موضع المرقد الحيدري، وفي المواضع الآتية:

- ١- الكوفة.
- ٢- ظهر الكوفة.
- ٣- مسجد الكوفة.
- ٤- مسجد براتنا.
- ٥- الكرخ من بغداد؟
- ٦- البقيع أو في المدينة.
- ٧- النجف الأشرف.

وأعطى المستشرق (دونلدسن) احتمالات لموضع القبر الشريف بقوله: (أن علياً دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال بل في رحبة القصر بها، وقال غيرهم: أنه دفن في الكرخ من محلات بغداد القديمة)^(١) وأراد المستشرق (دونلدسن) من منطقة الكرخ (مسجد براتنا) وأن هذا التخطيط الجغرافي قد وقعت فيه المستشركة (ستشيجيفكا) أيضاً بقولها: (أن الإمام علياً دفن بالكوفة أو بالبقيع)^(٢). وأشار المستشرق (توماس فورستر) في سياحته في القرن السادس عشر الميلادي إلى مرقد الإمام علي عليه السلام، وفق تخطيطات بعض المستشرقين بقوله: (أنه وراء مسجد الرسول

(١) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٧٠.

(٢) ستشيجيفكا: تاريخ الدولة الإسلامية، ص ٦٢.

صلى الله عليه وآله في المدينة قبرين عليهما ستائر خضر دفنت في أحدهما فاطمة بنت محمد، ودفن في الآخر الإمام علي^(١). وأعطى المستشرق (دونلدسن) مواضع عديدة لمقعد الإمام علي عليه السلام، وختمها بقوله: (أما الشيعة فيجمعون على أن جسده مدفون في النجف على مسافة أميال من الكوفة)^(٢). وأخذ المستشرق (لسترانج) برأي الرحالة (المستوفي) الذي جاء فيه: أن الإمام علياً لما ضرب في جامع الكوفة، وحضرته الوفاة أوصى بأن يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحيثما يبرك تدفن جثته هناك فعمل بهذه الوصية^(٣). ومن الغرابة أن هؤلاء المستشرقين قد أغفلوا النصوص المتواترة عن الأئمة وآل البيت عليهم السلام التي تشير إلى موضع قبر الإمام علي عليه السلام في أرض النجف الأشرف، ومما يزيد في الغرابة أن الكاتب المصري (أحمد أمين) قد التقى برأي المستشرق (آدم متر) الذي جاء فيه: (أن قبر علي في الكوفة، وهي أكبر مركز للشيعة حتى ذلك

(١) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٧٠ نقلاً عن:

The Principal vgages of the English Nations Hakluytedit Everyman's Liberay Vol.111. P195.

(٢) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٣.

العهد^(١). ولعل الأمر - وإن كان من باب الاحتمال - أن المقصود بالكوفة، المنطقة التي تحيط بالمدينة، وأن النجف الأشرف هي (ظهر الكوفة)، وقد أكد بعض المستشرقين على مرقد الإمام علي عليه السلام في أرض النجف الأشرف، وأطلقوا لفظ (مشهد Ten Thousand and one Nights) وأنه يقع في وسط مدينة النجف الأشرف، ويظهر كالبرج ضريح الإمام علي عليه السلام، ويمكن أن ترى المنارة الذهبية عن بعد^(٢). وكان لفظ (مشهد علي) قد تكرر في كتابات بعض المستشرقين وفي مقدمتهم المستشرق (لسترانج) للدلالة على مدينة النجف الأشرف^(٣).

ثانياً - المحور الوصفي لعمارة المرقد الحيدري:

وصف المستشرقون معالم المرقد الحيدري الشريف، ومراسيم الزيارة، وكان وقوفهم على وصف القبة الشريفة والمنارتين أكثر من غيرهما من المعالم الشاحصة والأفرشة والستائر والنفائس الثمينة، وتقول المستشركة (ليدي دراور): (وتتراءى من بعيد قبة النجف الذهبية، وهي تتلألأ وتتألق فتسرّ

(١) متز: الحضارة الإسلامية، ١٠٢/١؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، ٥/٢.

(2) The Thousand and one Nights. P.46.

(٣) لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٣.

الناظرين)^(١)، وتحدثت عن المنائر بقولها: (وقبة النجف ومناثرها الأربع مغطاة بالذهب الخالص، وهي من مآثر ناصر الدين شاه)^(٢)، ولكن المستشركة ليدي دراور وقعت في خطأ، فإن المرقد الحيدري الشريف يضم قبتين، وربما خلطت بين المشهد العلوي، والمشهد الكاظمي، وحددت المستشركة تاريخ التذهيب يعود لناصر الدين شاه، ولكن في الحقيقة أنه يعود إلى نادر الدين شاه، ويقول المستشرق (لونكريك): أن التذهيب يعود تاريخه لنادر شاه، وأن إجراءاته هذه نابعة من عمق تدينه^(٣). وكان الإعجاب قد طغى على وصف المستشرقين للقبة والمنارتين، فوصفهما المستشرق (لوفتس) عام ١٨٥٣م بقوله: (القبة الحيدرية تؤلف منظرًا فخماً يعجز عنه الوصف، وهي تتوهج في نور الشمس، وتبدو للرائين من بعيد وكأنها تل من الذهب يقوم من البراري الممتدة حوله)^(٤).

وأشار المستشرق (سروليس بدج) عام ١٨٩٠ - ١٨٩١م للقبة والمنارتين بقوله: (القبة المذهبة التي تعلو مرقد الإمام علي راتعة

(١) ليدي دراور: في بلاد الرافدين، ص ٧٦.

(٢) ليدي دراور: في بلاد الرافدين، ص ٧١.

(٣) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ١١٥.

(٤) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ٢٣٦/١.

جداً، وتراءت المئذنتان القائمتان على الجانب الشرقي من الصحن كتلة من ذهب خالص^(١). ونجد في رحلات المستشرق (تايلر) كلاماً جميلاً جاء فيه: (فمن المؤكد أن الناظر إلى القبة من بعيد يراها تلمع وتوهج، أن هذا المكان هو محط تكريم المؤمنين وتقديسهم)^(٢). وفي وصف الرحالة الهولندي (نجهولت) عام ١٨٦٧م صورة رائعة بقوله: (المرقد الشريف بأن بنيته جيدة وجميلة، وأن القبة البديعة ورؤوس المنائر المكسوة بالذهب الخالص تحتل جميعاً صورة رائعة للناظرين)^(٣) وتحدث الكاتب البريطاني (سندرسن) عن النجف الأشرف والمرقد الحيدري الشريف فيقول: (وفي وسط النجف يظهر كالبرج ضريح الإمام علي، ويمكن أن ترى المنارة الذهبية عن بعد)^(٤). وتحدث المستشرق (لسترانج) عن القبة الشريفة وأبواب الصحن الحيدري^(٥).

(١) سروليس بدج: رحلات إلى العراق، ١٨٣/٢.

(٢) تايلر: رحلة تاير إلى العراق، ترجمة: الدكتور بطرس حداد، مجلة المورد العدد الأول، المجلد الحادي عشر، ص ٣٠.

(٣) نجهولت: صفحات من مذكرات الرحالة الهولندي إلى العراق عام ١٨٦٧م ترجمة: مير بصري، جريدة البلد، العدد (٩١٦) بتاريخ ١٩٦٧/٦/٦.

(٤) The Thousand and one Night. P.46.

(٥) لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٣.

وكان بعض المستشرقين يصفون القبة والمنارتين، ويضيفون المعالم الأخرى في المرقد الحيدري، فيقول المستشرق (آدم متز): القبة والستائر والحصر المفروشة^(١). ويقول الرحالة (لوفتس): (أن الصحن الحيدري يزين بالقاشاني المحتوي على الرسوم المتناسقة للطيور والورود النباتية والكتابات المذهبة)^(٢)، وأشار المستشرقون إلى المفروشات الفاخرة والستائر الجميلة والحصر السامانية التي فرشت في أرض المرقد الحيدري^(٣). وتحدث المستشرق (ماسنيون) عن التطور العمراني منذ القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي بدءاً من عهد أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، المتوفى عام ٣١٧هـ^(٤).

وكانت الكاتبة (المس بيل) قد رافقت الجيش البريطاني لاحتلال العراق بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، قد تحدثت عن النجف الأشرف من جوانب عديدة، وأشارت إلى (مقابر الاغاخانيين) في الصحن الحيدري وقبر الحاجة شمس

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ١٢٢/١.

(٢) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ٣٣٥/١.

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٤؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية،

١٢٢/١.

(٤) ماسنيون: خطط الكوفة، ص ٣٣.

الملوك والدة اغا خان الثالث السلطان محمد علي شاه المتوفى عام ١٩٣٨م. وأنها دفنت مع زوجها علي شاه^(١). وأشارت إلى تنوير المرقد الحيدري، وقالت: أن مخصصاته قليلة جداً وبخاصة في تنوير المرقد^(٢). وتطرق المستشرق (دونلدسن) إلى محاولة السلطان المغولي محمد خدابنده بنقل رفات الإمامين علي والحسين عليهما السلام إلى عاصمة مملكة (السلطانية)، وقد شيد لهذا الغرض بناءً فخماً ليكون مدفناً جديداً للإمامين علي والحسين عليهما السلام، ولكن المنية عاجلته، وتحول البناء المذكور مقبرة له^(٣). وإذا أكدنا صحة هذه المحاولة، فإنها تشير إلى تحويل مدينة السلطانية) إلى عتبة مقدسة.

وكانت الروضة الحيدرية تضم خزينة نفيسة من المفروشات والمصاحف والأفرشة، وهي مهداة من الملوك والأمراء، فيقول المستشرق نيبور: أن امبراطور المغول في الهند أهدى إلى المرقد الشريف للتبرك احجاراً ثمينة لا تقدر بثمن^(٤). ووصف المستشرق (نيبور) عام ١٧٦٥م نفائس المرقد الحيدري بقوله: (كان أمام

(١) المس بيل: العراق في رسائل المس بيل، ص ٥٢٩.

(٢) المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب، ص ٣٢.

(٣) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٧٤.

(٤) نيبور: مشاهدات نيبور في رحلته، ص ٨٢.

المرقد شمعدان فخم للغاية ذو مصابيح متعددة، والكل محاط بالأبنية التي سكن فيها كبار خدام المرقد ويتجاوز عددهم المائة وبينهم عدد كبير من الدراويش الفقراء الذين يجلسون أمام المدخل يدعون للزوار بالخير مقابل عطاء بسيط^(١). وعند تعرض مدينة النجف الأشرف في العهد العثماني لأخطار سياسية، جعلت السلطة الحاكمة تنقل الخزينة الحيدرية إلى مدينة بغداد، وقد حاول الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢م) بيع الخزينة، ولكنه لم يكن قادراً على تحقيق مشروعه^(٢).

وتطرق المستشرقون والمؤرخون إلى بناء المرقد الحيدري وتطوره العمراني في عهود الخلفاء والقادة وهم:

١- الداعي العلوي زيد بن محمد.

٢- أبو الهيجاء الحمداني.

٣- عضد الدولة البويهلي.

وكان لهؤلاء القادة نفوذ سياسي واسع في العصر العباسي (١٣٢ - ٦٥٦هـ) فيقول المستشرق (ماسنيون): أن الداعي الزيدي الديلمي زيد بن علي، حظي بتشيد قبة اجلالاً للإمام علي عليه

(١) المصدر نفسه، ص ٨١

(٢) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ٢٦١، ص ٣٥٩.

السلام عام ٢٨٠هـ/٩٠٢م، وزاد في بنائها أمير الموصل أبو الهيجاء الحمداني عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م^(١).

وأشار المستشرق (دونلدسن) إلى جهود السلطان عضد الدولة البويهني في بناء مرقد الإمامين علي والحسين عليهما السلام^(٢)، وأحاط أبو الهيجاء المرقد الحيدري بحصن، وشيد على القبر الشريف قبة، وفرش المرقد بفراخ السطور^(٣). واخذ الناس يتوافدون على المرقد الحيدري للزيارة والدفن حوله، واطلق بعض المستشرقين لفظ (الحجاج) على الزائرين^(٤). ويقول الدكتور فيليب حتي: (أن مواكب الحجاج الذين يتوافدون إلى مشهد علي في النجف الأشرف، وإلى مشهد الحسين وما يمارسون من حالات الأسى والتفجع كل سنة حين تنشر في العاشر من المحرم راية الحزن في أنحاء عالم الشيعة)^(٥).

(١) ماسنيون: خطط الكوفة، ص ١٢٣.

(٢) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ١٠٥.

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٤.

(٤) ماليارد: نواعير الفرات، ص ٥٠ - ص ٥١.

(٥) فيليب حتي وجماعته: تاريخ العرب المطول، ٢٤٣/١.

ثالثاً - المحور العقائدي للزيارة:

تواترت النصوص المروية عن الأئمة عليهم السلام حول فضيلة الروايات الدالة على زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام والمروي بعضها عن الإمام الصادق عليه السلام^(١). وأشار المستشرق (لونكريك) إلى زيارة السلطان العثماني سليمان القانوني لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام عام ١٥٣٤هـ^(٢). وإلى جهود الوالي العثماني خاصكي محمد في تذهيب القبة الحيدرية وإضافة منارة جديدة^(٣). وأعطى القنصل الفرنسي في البصرة وبغداد (المسيو فوتتابية) احصائية لعدد الزائرين للمرقد الحيدري وعددهم مائة ألف نسمة^(٤). وكان بعض المسؤولين يؤديون مراسيم الزيارة وفق احترام وتقديس، فأشار المستشرق (لوريمر) إلى زيارة السلطان القاجاري ناصر الدين شاه لمدينة النجف الأشرف في الثالث عشر من رمضان ١٢٨٧هـ بقوله: (لما اقترب من سور النجف بمقدار ميل، نزل من عربته ومشى نحو المرقد

(١) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٧٩.

(٢) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٤) الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف، ١/ ٢٣١ -

٢٣٢ نقلاً عن: (V.Pontanier - Voyage dans Linde et LeGoif)

الشريف احتراماً لأmir المؤمنين عليه السلام، انعم على العلماء وسائر الطبقات^(١). وأعطى المستشرق (سندرسن) بعداً عقائدياً للزيارة بقوله: (تهيأت لي فرصة لزيارة كل من كربلاء والنجف اللتين يحج إليهما الشيعة، وهما في نظرهم لا تقلان قدسية عن مكة)^(٢). وفي عام ١٠٧٨هـ زار الوزيران العثمانيان (قره مصطفى باشا وحسين باشا)^(٣).

رابعاً - المحور الأثاري للخزانة الحيدرية:

وقف بعض المستشرقين على الخزانة الحيدرية ومحتوياتها الثمينة، وورد في دائرة المعارف البريطانية مادة (نجف) وصفاً للمرقد الشريف عام ١٩٣٣م، والصندوق الفضي المشبك، والمنارتين المكسوتين بالذهب^(٤). وعدّ الرحالة (الواموسيل) سادن الروضة الحيدرية السيد جواد بن السيد رضا الرفيعي أقوى رجل في مدينة النجف الأشرف وما جاورها وذلك عام ١٩١٢م^(٥). وكانت مهمته حماية المرقد الشريف والخزانة

(١) لوريمر: دليل الخليج / القسم التاريخي، ٢٠٩٤/٤.

(٢) سندرسن: عشرة آلاف ليلة وليلة، ص ٥٠.

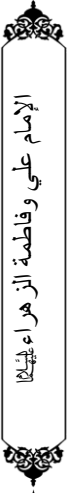
(٣) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ١٤٦.

(٤) دونالدسن: عقيدة الشيعة، ص ٧٩.

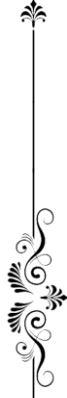
(٥) الواموسيل: الفرات الأوسط، ص ٥٩.

الحيدرية في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية في طريق
الزوال، والاستعمار البريطاني قد هيمن على أجزاء منها.

الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



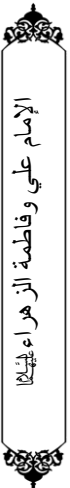
الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما



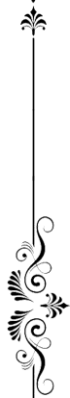
الفصل الثالث

الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام

في الفكر الاستشراقي



الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



كتب بعض المستشرقين كتباً مخصصة للصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنهم: الأب لامنس في كتابه (فاطمة وبنات محمد) ولويس ماسنيون في كتابه (فاطمة بنت الرسول)، وكتب بعضهم بحوثاً ودراسات في مواضيع مختلفة، ووفق المحاور الآتية:

أولاً - الجمع بين النبوة والإمامة.

وردت سيرة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام عند الحديث عن السيرة النبوية الشريفة، يقول المؤرخ السيد أمير علي: أن فاطمة أصغر اخواتها، ولقبت بالزهراء لجمالها، ويدعوها المسلمون بلفظ (سيدتنا)^(١). ويقول الإمام الصادق عليه السلام: (أن فاطمة إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماوات كما يزهر الكوكب الدرّي لأهل الأرض)^(٢). ولكن المستشرق (بودلي) قد تجاوز هذه الحقيقة بقوله: (كانت فاطمة عاطلة عن الجمال لا شخصية قوية لها، وكان ذكاؤها فوق متوسط ذكاء المرأة العربية)^(٣). وهذا الرأي يتناقض مع رأي المستشرق (ارفينج) بقوله: (تم زواج فاطمة... من المؤمن الصالح

(١) المحب الطبري: دلالة الإمامة، ص ٥٤.

(٢) بودلي: الرسول حياة محمد، ص ٢٣٨.

(٣) ارفنج: حياة محمد، ص ١٣٣.

علي بن أبي طالب... على جانب كبير من الجمال^(١)، وقد تزوجها الإمام علي عليه السلام، ولم يتزوج غيرها ما دامت على قيد الحياة، وفق منهجية الرسول الكريم (ﷺ) فإنه لم يتزوج بامرأة ما دامت السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، على قيد الحياة، وبرغم أنه كان من عادة العرب تعدد الزوجات، فقد ظل زوجاً مخلصاً إلى اللحظة الأخيرة من حياتها^(٢). فقد كانت العلاقة وثيقة، فقد كانت فاطمة لعلي مثلما كانت خديجة لمحمد^(٣). فقد كان أبناء السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يسمون (أبناء رسول الله)، ويقول المستشرق (ارندنك): أن عبارة (ابن رسول الله) هي العبارة المفضلة في مخاطبتهم، وقد اعتمد على ذلك على روايات المؤرخين والمحدثين، فروي عن النبي (ﷺ): (كل أبناء آدم ينتسبون إلى عصة ابيهم إلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وأنا عصبتهم)^(٤).

(١) ارفنج: حياة محمد، ص ٤٨.

(٢) الحكيم: فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، ص ١٣ - ص ١٤.

(٣) ارندنك: دائرة المعارف الإسلامية، ٢٧٤/١٣.

(٤) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٢٣.

ثانياً - المحور العقائدي.

أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الخلافة والوصية، بدءاً من الإمام علي عليه السلام، ومن بعده أبنائه الأئمة عليهم السلام، فأشار المستشرق (دونلدسن) إلى غزوة الحديبية واصطحاب النبي صلى الله عليه وآله الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء عليهم السلام بقوله: (ولا يمكن أن يخلفه حفيده إلا إذا اعترف بعلي خلفاً له، فإنه ليس من عادة العرب ردّ النسب إلى ابنته فاطمة)^(١)، ويبدو أن المستشرق (دونلدسن) قد ابتعد عن النصوص القرآنية والحديثية، واستمد رأيه من الأعراف الاجتماعية القديمة، والنصوص الواردة في المصادر التاريخية التي تخالف الأحاديث النبوية الموثوقة، وتعد هذه الأحاديث في مقدمة الأحاديث العقائدية.

ثالثاً - المحور الجغرافي لتحديد مرقد الزهراء.

اختلفت الروايات في تاريخ وفاة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام واختلفت في موضع قبرها، واعتمد المستشرق (دونلدسن) على رواية تشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله قال للزهراء عليها السلام: (ابشري يا فاطمة فستكونين أول من يلحق بي، وجعل يعالج سكرات الموت، فأخذت تبكي بكاءً شديداً، أراد

(١) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٢٣.

علي اسكاتها فقال النبي: دعها تبكي أباه، ثم أغمض عينيه وأسلم روحه^(١). وتحدث (دونلدسن) عن الهجوم على دار فاطمة عليها السلام بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)^(٢)، وألمح المستشرق (بودلي) إلى سبب الهجوم هذا لأن الزهراء عليها السلام (كانت تمثل الخليفة الطبيعي، أو الخليفة الوراثي)^(٣)، وكانت مسألة (فدك) قد حاججت الزهراء عليها السلام، السلطة الحاكمة وعلى رأسها أبي بكر في وراثة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) في أرض فدك بقوله: (ولم يمض على وفاة الرسول زمن طويل حتى جاءت فاطمة ومعها علي إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها فقال لها: اشهد كما الله، ألم تعلموا أو تسمعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)^(٤). وأعطى المستشرق (فلهاوزن) جانباً من تاريخ فدك بقوله: أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ردّها إلى ما كانت عليه أول امرها، وأعطاه لآل النبي عليه السلام وهم العلويون، وبذلك ألغى عمر بن عبد العزيز ما كان قد جرى عليه أبو بكر وعمر، ومعنى هذا أنه لم يكن

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٢) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٣٢.

(٣) بودلي: الرسول حياة محمد، ص ٢٣٨.

(٤) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٣٦.

يتبعهما اتباعات تامة^(١). وكان موقع دفن الزهراء عليها السلام موضع اختلاف بين المؤرخين، فحددت مواقع اربعة هي:

١- بيت الزهراء.

٢- بيت عقيل.

٣- مقبرة البقيع.

٤- بين القبر والمنبر.

وإننا نرجح رواية الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام بأن الزهراء عليها السلام (دفنت في بيتها)^(٢)، ويقول الشيخ الصدوق: (منهم من روى أنها دفنت في بيتها، فلما زادت بنو أمية في المسجد، صارت في المسجد، وهذا هو الصحيح عندي)^(٣). وقد خالف المستشرق (دونلدسن) هذا الرأي بقوله: إن فاطمة دفنت بالبقيع، ودفن عندها ولدها الإمام الحسن^(٤).

رابعاً - المحور الاجتماعي لورثة الزهراء:

اختص أبناء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وورثتهم بلقب (الشريف)، أي من ورثة الإمامين الحسن والحسين عليهما

(١) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٨٧.

(٢) الكليني: الكافي: ٤٦١/١؛ الحكيم: فاطمة الزهراء، ص ٢٩٣.

(٣) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٣٤١/٢.

(٤) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٨٢.

السلام، وهناك من يقول: أن لقب الشريف يطلق على أبناء السيد محمد بن الحنفية، أو أبناء أي ولد من أبناء الإمام علي عليه السلام، سواء كان من أبناء جعفر أو أبناء عقيل أو أبناء العباس^(١). وقد اختلط الأمر على المستشرق (ارندنك) بين أبناء الإمام علي عليه السلام وأبناء اخوته، وأبناء العباس بن عبد المطلب. فأطلقت بعض المصادر التاريخية لقب (الشريف) على أبناء هؤلاء، ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد أن لقب الشريف في الصدر الأول من التاريخ الإسلامي قد خص بأبناء الإمام علي عليه السلام، وفي العصور التالية الحق بجميع الهاشميين، مستندين على آية التطهير. في حين أن الآية الكريمة نزلت في الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقد أطلق عليهم (أهل الكساء أو أهل العباء)، ويقول المستشرق (ارندنك): أن لقب (السيد) ولقب الشريف يطلق على العلويين، وقد استند على الكتب الآتية:

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عتبة

الداودي.

٢- تاريخ الإسلام للذهبي.

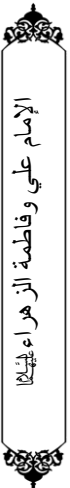
٣- نهاية الارب للنويري.

٤- العقود اللؤلؤية للخزرجي.

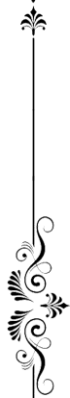
وأضاف المستشرق (ارندنك) إلى حديثه عن لقب (السيد) بقوله: أن لقب السيد بقي يلازم أبناء الحسن والحسين في حضرموت^(١). وقال: أن الرسول محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد خاطب الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام بلفظ (سيدا شباب أهل الجنة) و (سيدا العرب وسيدا المسلمين) وأطلق عليه أفضل الصلاة والسلام على الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام لفظ (سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة)، وأشار المستشرق (ارندنك) إلى حديث الثقلين الذي يرتبط بأهل البيت عليهم السلام الذين لا يجوز لهم أخذ الصدقة، وأضاف (ارندنك) لقوله: أن بعضهم شمل الطالبين والعباسيين بلفظة (أهل البيت)، وشمول بعض نساء النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٢)، ولا شك أن هذه الشمولية لها أبعاد سياسية قد رُوِّج لها العباسيون عند تسلمهم للسلطة بعد العهد الأموي عام ١٣٢هـ.

(١) ارندنك: دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٣/٢٦٧.



الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام



الخاتمة

تحتاج الدراسات الاستشراقية للموروث الإسلامي إلى رؤية علمية محايدة، بعد الوقوف على النصوص المودعة في المصادر الأساسية بما فيها نصوص صحيحة موثوقة، ونصوص ضعيفة موضوعة في محاولة للوصول إلى الحقيقة العلمية، وكنت قد وضعت الدراسات الاستشراقية موضع النقد والتمحيص عند دراستي لأرائهم في السيرة النبوية الشريفة، في كتابي (السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية) ويأتي كتابي هذا (الإمام علي وفاطمة الزهراء) وفق المنهج الذي سلكته سابقاً، ووضعت فصلاً مخصصاً لدراسة المستشرقين للمرقد الحيدري الشريف لصلته بسيرة الإمام علي عليه السلام، ووجدت من خلال كتابات المستشرقين جوانب علمية تحليلية، وفي جوارها جوانب بعيدة عن الحقائق العلمية وربما هذا ناتج من عدم توغل بعض المستشرقين في التراث الإسلامي، بما فيه الصحيح والسقيم، ولم نكن نحو المسلمين في غفلة عن تأشير النصوص غير السليمة، لأن المؤلفين القدامى كانت مهمتهم جمع النصوص، دون تحليلها وتدقيقها، فترك الأمر للباحثين المعاصرين سواء مسلمين أو غير مسلمين، لأننا جميعاً ننشد الحقيقة ذات البعد عن الانحياز المذهبي والديني، في الوقت الذي أضع هذا الكتاب أمام

القراء في محاولة لإبراز آرائهم بحرية تامة ولعل هناك هفوات
يمكن تصويبها في المستقبل أو إضافة جوانب قد ابعدتني
الذاكرة عنها، وأن غرضي الوحيد أن يصل الموضوع إلى درجة
متقدمة من الكمال، وأملني وطيد بالمتقف الواعي ليضع النقاط
على الحروف خدمة للعلم والفكر ومن الله تعالى التوفيق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

• أحمد أمين (ت ١٣٧٣هـ)

١- ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي / بيروت، الطبعة الخامسة،

١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

• ارفنج، واشنتجنون

٢- حياة محمد، ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي، دار

المعارف / القاهرة ١٩٦٠م.

• ارندنك

٣- دائرة المعارف الإسلامية، المطبعة العربية، الجزء الثالث عشر.

• اوليري، دي لاسي

٤- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار،

دار الكتاب اللبناني / بيروت.

• البنداق: محمد صالح

٥- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، بيروت ١٩٨٠م.

• بودلي، رونالد فكتور

٦- الرسول حياة محمد، ترجمة: عبد الحميد السحار ومحمد

محمد فرج، القاهرة ١٩٦٤م.

• تايلر

٧- رحلة تايلر إلى العراق (١٧٨٩ - ١٧٩٠م) ترجمة: بطرس حداد، مجلة المورد، العدد الحادي عشر، بغداد ١٩٨٢م.

• جورج جرداق

٨- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، مطبعة الجهاد / بيروت.

• ابن حجر: أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)

٩- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار الطباعة المحمدية / القاهرة ١٣٧٥هـ

• الحسكاني: الحاكم عبيد الله بن عبد الله النيسابوري

١٠- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.

• الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)

١١- الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج، العارف للمطبوعات / بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

١٢- فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، مطبعة الشريعة / قم ١٤٣٠هـ

١٣- فروسية الإمام علي في كتابات المستشرقين، جريدة الزمان، العدد (٢٣٠٣) بتاريخ ١٨/١/٢٠٠٦.

• حنا فاخوري

١٤- تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، بيروت، الطبعة

الثالثة ١٩٦٠م.

• الخياط: جعفر

١٥- النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة / قسم

النجف.

• دونالدسن، دوايت، م

١٦- عقيدة الشيعة، ترجمة ع. م. مطبعة السعادة / مصر

١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

• دي بور، ت. ج

١٧- تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو

ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٩٤٨م.

• ستشيجيفكا، بوجينا غيانه

١٨- تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، المطبعة التجارية /

بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

• سروليس بدج

١٩- رحلات إلى العراق، ترجمة: فؤاد جميل، مطابع دار الزمان

ومطبعة شفيق / بغداد ١٩٦٦، ١٩٦٨م.

٢٠- عشرة آلاف ليلة وليلة (المذكرات) ترجمة: سليم طه التكريتي، مكتبة اليقظة العربية / بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

● سهيل قاشا

٢١- كتاب الاستشراق، المستشرقون الانكليز، العدد الثاني

١٩٨٧م.

الفهرس

- الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام
- مقدمة المركز ٣
- المقدمة ٨
- الفصل الأول: الإمام علي عليه السلام في الفكر الاستشراقي ... ١٢
- أولاً - المحور العقائدي والإيماني ١٤
- ثانياً - المحور العلمي والفكري ١٨
- ثالثاً - المحور السياسي والعسكري ٢١
- رابعاً - المحور الإداري والاقتصادي ٢٧
- خامساً - المحور الاجتماعي ٣٠
- الفصل الثاني: المرقد الحيدري الشريف في الفكر الاستشراقي ٣٢
- أولاً - المحور الجغرافي لتحديد المرقد الحيدري ٣٤
- ثانياً - المحور الوصفي لعمارة المرقد الحيدري: ٣٧
- ثالثاً - المحور العقائدي للزيارة: ٤٤
- رابعاً - المحور الآثاري للخزانة الحيدرية: ٤٥
- الفصل الثالث: الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر
الاستشراقي ٤٨
- أولاً - الجمع بين النبوة والإمامة ٥٠
- ثانياً - المحور العقائدي ٥٢
- ثالثاً - المحور الجغرافي لتحديد مرقد الزهراء ٥٢

رابعاً - المحور الاجتماعي لورثة الزهراء:..... ٥٤

الخاتمة..... ٥٨

المصادر والمراجع..... ٦٠

الفهرس..... ٦٤